الحفاظ على جماعة المسلمين، وأمنها، واستقرارها، وهيبتها، من المقاصد الشرعية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم –، أما بعد:

سمعت كلامًا للأخ أسعد الزعتري اشتمل على بعض المخالفات المنهجية، مع أحكام ظالمة، وبذاءة.

الأمر الأول

يرى أن أي جهة في البلد تقاتل الدولة، وتخرج على الدولة، فإنه لا يلزم الناس أن يصدوا هؤلاء البغاة الذين بغوا على ولاة الأمور، بل ينصح بعدم المشاركة، ويحتج بأن الطرفين المتقاتلين (أي: ولاة الأمور، والبغاة) كانوا مع بعضهم البعض، ثم اختلفوا على الدنيا، فلا ينبغي القتال مع طرف ضد طرف من أجل الدنيا، لأن همّهم ليس إعلاء راية التوحيد، وليس همّهم نشر السنة، وإنما أن تكون القوة لحزب معيّن.

فالجواب عن ذلك من أوجه:

الوجه الأول: –أن هذا القول قولٌ غريب مخالفٌ للكتاب، والسنة، وطريقة أهل العلم، ولا يُعرف –فيما أعلم – عن أحد من علماء أهل السنة أنه قال به من قبل. وهو مخالفٌ لعموم الأدلة كقوله تعالى: "فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله"، ولعموم الأحاديث كقوله –صلى الله عليه وسلم –: "من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرّق جمعكم فاضربوا عنقه كائنًا من كان". رواه مسلم، ومخالف لما قرّره العلماء المعاصرون في الدروس، والفتاوى، وهي فتاوى كثيرة جمعتها في مقال خاص.

فالنصوص القرآنية، والحديثية، وفتاوى العلماء لم تفرّق بين دولة، ودولة، ولم تفرّق بين باغٍ وباغٍ آخر.

ولذلك أنكر علماء أهل السنة على الخارجين على الحكومات الإسلامية، ولم يفرقوا بين دولة، ودولة، ولا بين باغٍ يحمل راية دينية، أو باغٍ يحمل راية دنيوية.

الوجه الثاني: –أن هذا الرأي يلزم منه أنك لو تعرف أن هناك من يتآمر على الدولة، يريد أن يحدث فيها فوضى ثورية، فلا يلزمك مناصحته، ولا يلزمك الإنكار عليه، ولا يلزمك التبليغ عنه.

بل قد يُفهم منه أن من قاتل الدولة زاعمًا أنه يطالب بتحكيم الشريعة فإنه يشرع الوقوف في صفّه ضدّ الدولة، لأن الدولة –بحسب كلامك –تقاتل من أجل الدنيا، والطرف الثاني يزعم أنهم يقاتل من أجل الشريعة، ولا شك أن هذا قول فاسدٌ لا أظنك تريده، أو تلتزم به، وطريقة أهل العلم على عكس ذلك تمامًا، يقفون مع جماعة المسلمين ضدّ الخارجين على الحكومات حتى وإن كان يزعم أنه سيحكّم الشريعة، وقد وقف الشيخ ربيع –رحمه الله –مع حكومة الجزائر ضدّ الخوارج، مع أن جبهة الإنقاذ حصل في الانتخابات على قرابة ستين بالمائة، وتزعم أنها تريد تطبيق الشريعة.

الوجه الثالث: –يرى أن الدولة إنما تناصر في القتال الذي يكون غايته إعلاء كلمة الله فقط، وهذا غلط، وخفي على الأخ أن كلام العلماء في القتال مع الولاة غايته الحفاظ على جماعة المسلمين، وهذا مقصد عظيم من المقاصد الشريعة الإسلامية، ولذلك أمرت الشريعة بكل وسيلة تعين على الحفاظ على جماعة المسلمين، ونهت عن كل وسيلة تفرّق جماعة المسلمين، وإن البغي على ولاة الأمور هو من تلك الوسائل التي تفرّق جماعة المسلمين، وتمزّق نسيج المجتمع، وتحدث أنواعًا من الفساد في المجتمع.

ولذلك يجب منع القتال ابتداء بكشف شبهة الباغي، وردّ مظلمته، فإن أبى إلا القتال، فيجب قتاله، ويجب على الناس الوقوف مع ولاة أمرهم حتى لا يفسد البغاة في الأرض.

ولذلك نهت الشريعة عن الخروج على ولاة الأمور، حتى وإن كان بعض الخارجين يرفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما منعت الشريعة حتى لا تتفرّق جماعة المسلمين، وحتى لا يحصل أنواع عظيمة من الفساد في مجتمع المسلمين من سفك الدماء، وتسلّط الأعداء.

فالدولة تُناصر في القتال الذي يكون لإعلاء كلمة الله، وفي القتال الذي يكون لحفظ جماعة المسلمين، وحفظ أمنهم، واستقرارهم.

الوجه الرابع: –قوله عن قتال الدولة للبغاة: "يتقاتلون من أجل الدنيا" غلط، فبعض حروب الدولة مع الخارجين عنها تكون الدولة فيها أقرب إلى الحق، ويكون الخارجون هم الظلمة، كقتال الدولة مع الخوارج، وقتالها مع التنظيمات الإرهابية، ومن نحا نحوهم، فالدولة تقاتلهم لتحافظ على أمن البلاد، وهيبة الدولة، وعلى أرواح الناس، وحفاظًا على المجتمع من تخريب الخوارج، لأنهم لو تسلّطوا على المجتمع، لأفسدوه، وقد جاءت آثار كثيرة عن السلف في هذا الباب.

فالقول بأن الدولة تقاتل الخارجين عنها من أجل الدنيا –كما يصوّر الأخ أسعد –غير صحيح.

الأمر الثاني

سمعت صوتيات الأخ، فوجدته رمى بعض المشايخ السلفيين بافتراءات ظالمة لم يسبقه أحد إليها، وبالغ في بعض الأمور، وفي بعض كذب، كما أنه وصفهم بأنهم فرقة نزارية وهو حكم لم يسبقه أحدٌ من العلماء الذي يطالب هو نفسه بالرجوع إليهم.

ويقول:

ويقول: "مخانيث يتستّر بعضهم خلف الأسماء المستعارة، سيماهم الكذب والافتراء، والطعن في السلفيين، ويتعصّبون لطالب علم مثلهم، وفي مستواهم، وهو ذاك السوداني الذي انقلب حاله وصار رأسًا في الحدادية، يتعصّبون له حيث سحرهم بسفاهاته لأنهم حمقى مثله باعوا دينهم لإرضاء هذا السوداني الحدادي".

كما وصف من حوله من طلاب العلم المعروفين بأنهم همجٌ رعاع، وأنهم مجاهيل، وهذا غير السخرية التي يسخر بها من إخوانه، وأمور أخرى لا تليق بمسلم.

ويقول في "الصوتية الثالثة": "وهؤلاء لا يفهون إلا ما تمليه عليه أهواؤهم الردية".

ومن افتراءاته أنه ذكر في الصوتية الثانية أن الشيخ نزارًا يحزّب ويطعن في كل من يخالفه في مسألة السودان ويخرجه من السلفية بسبب ذلك، وهذا كذب مفضوح، ومثل هذه الأساليب هي التي توجد الفتن، وتوسّعها.

ومن أخطائه أنه ذكر كلامًا معناه أن الشيخ ربيع بن هادي –رحمه الله –أنه أرسل بكتابه في الرد على عبد الرحمن عبد الخالق ليراجعه، وينظر هل هناك ملاحظات، هذا خلاصة كلامه، وهذا غير صحيح، فإن الشيخ –رحمه الله –يرسل كتبه للعلماء ليطلعوا على انحرافات الجماعات، وليقدّموا للكتاب، فيزداد الكتاب قوّة، وانتشارًا، وهذا قد تكلم به الشيخ ربيع –رحمه الله –مع بعض الناس.

الأمر الثالث

وهو البذاءة كقوله في الجزء الثالث: "النزارية مخانيث المصعفقة"، وقوله: "مخانيث المراجيح، والمهابيل"، وقوله: "ليسوا رجالًا"، و"حمقى"، و"سفهاء"، مخانيث يتستّر بعضهم خلف الأسماء المستعارة.[1]

وقال في الجزء الثاني: "هل هؤلاء عندهم عقول؟"، وقال: "مسخت عقولهم"، ونحو هذه العبارات.

وإني لأنصح لسعد الزعتري أن يتقي الله في نفسه، وأن يراقب الله في ألفاظه، وفي أحكامه على الآخرين، وأن يخاطب غيره بأدب، فإن مثل هذه الألفاظ والبذاءات تضرّه هو أولًا، وتسيء إليه، ولا تضرّ أحدًا من السلفيين، كما أنها تشوّه بالدعوة السلفية، وتسيء إليها، لأنهم قد يظنون أن هذه أخلاق السلفيين، ومعاذ الله أن تكون هذه أخلاقهم. أسأل الله أن يهديه، وأن يصلحه.

وأمر آخر

وسمعت كلمة لأخيه سعد الزعتري ذكر فيها أن الجزائر لا تزال مستعمرة لفرنسا، واستقلالها مزيّف، وأنه بقي الاستعمار، وأنهم اعترفوا بذلك، ويرى أن ذلك في الجزائر وغيرها مستعمرة، ويقول إن لم يكن استعمارًا ظاهرًا، فباطن، ويقول: أي استقلال أخذوه؟ ما في استقلال، ويقول: إن الاستقلال الحقيقي هو بتطبيق الدين.

أقول:

هذا الكلام والله ظلم للحكومة الجزائرية، وللشعب الجزائري، والجزائر استقلّت عن فرنسا حسيًّا، ومعنويًّا، وهذا أمرٌ معلوم حسًّا وواقعًا فلماذا القول بأنها لا تزال مستعمرة، وأين برهانك على ذلك؟

وفي حكومة الجزائر، وشعبها خيرٌ كثير، فلا حاجة لمثل هذا الكلام الذي يضر ولا ينفع.

وأقلّ ما يُقال في مثل هذا الكلام إنه لا حاجة له، ولا فائدة منه، فكيف إذا كان له أضرار على الدعوة التي تنتسب إليه يا أخ سعد.

كلمة أخيرة

أقول للأخ أسعد الزعتري:

أ ـ ليس في مناقشة الشيخ نزار بن هاشم السوداني أي حرج، وما من أحد من الناس إلا ويؤخذ من قوله ويُردّ عليه غير النبيّ –صلى الله عليه وسلم –، فإذا كانت عند الشيخ نزار أو عند غيره أخطاء، فلك أن تردّ هذه الأخطاء يا أسعد بالدليل، وليس عليك أي حرج في الرد. لكن الحرج يا أسعد في السفاهة، وقلّة الأدب في مخاطبة الآخرين، وانحطاط الأسلوب، وقذارة الألفاظ، ورمي عدد كبير بالافتراءات التي خطام لها ولا زمام.

مع العلم أننا لم نجد أي مناقشة علمية للشيخ نزار إنما وجدنا رمي التهم بدون بيّنة.

ب ـ لا ندري أين كانت غيرتك على السلفية يوم أن ارتكب عدد كبير مخالفات منهجية فاضحة، ولم يكتفوا بذلك بل شوهوّا بالناصحين، فلا ندري أين كانت غيرتك لما سحقت أعراضنا ظلمًا لسنوات كثيرة؟

---

[1] لا أدري أين يغيب الذين يتصنّعون الأدب؟ لماذا لا يتعقّبون مثل هذه البذاءات التي أشرت إليها؟ فلماذا أنكروا وصفي لرجل بأنه واطي (أي: دنيء) لأنه حرّض في اليمن على قتال بعض المعسكرات الحكومية، ويوجد في هذه المعسكرات زملاؤه الذين يشتركون معه في المعسكر نفسه، وفي آخر الشهر يطالب قائد المعسكر بالراتب الشهري. فلما يضخّمون مثل هذه الكلمات بينما يغضّون الطرف عن بذاءة أتباعهم؟

ثم إن هذه الانحرافات اطّلع عليها مشائخك، فلم ينطقوا بكلمة واحدة، ولم يكتفوا بذلك بل حذّروا من الناصحين بدون حق.

والدكتور عبد الله البخاري يعرف هذا التحذير الظالم، ولم يفعل شيئًا؟

كتبه عليّ الحذيفي العدنيّ